

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
رئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ ملياً

الوفورات

يتفق عليها مع الإدارة

المسألة ٥٠٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ - الموافق ١٥ مارس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

٧ - دفاع عن البلاغة

الذوق

يكثر تردد كلمة (الذوق) في البلاغة ، كما يكثر تردد كلمة (العقل) في الفلسفة . ذلك لأن حاسة الذوق هي أداة الفن ، كما أن ملكة العقل هي أداة العلم . فن لا يذوق لا يدرك الجمال ، كذلك من لا يفقه لا يعرف الحق . ولم تؤت البلاغة إلا من فساد الذوق فيمن يكتب أو فيمن يقرأ . ولم أجد فيما أثر من أدبنا ، ولا فيما نقل إلى لغتنا ، كلاماً يفيد طالب البلاغة في موضوع الذوق على ما له من بليغ الأثر في إنشاء العمل الفني وصحة تقديره ودقة نقده . لذلك لم أر من الفضول ، وأنا في مقام الدفاع عن البلاغة ، أن أحاول تجلية هذا المعنى بمقدار ما يحسن الاستطراد في موضوع يؤدى على الطرف الأقصى من الإيجاز

ما هو الذوق ؟ الذوق حاسة معنوية تصدر عنها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر في أثر من آثار العاطفة أو الفكر . وقديماً فطن الناس إلى الشبه بين الذوق الحسى الذى يميز بين الطعوم ، وبين هذا الذوق المعنوى الذى يحكم في نتائج الفنون . وما أظنهم وقفوا بوجه الشبه بين هاتين الحاستين عند طبيعة الإدراك ، وإنما تعدوا به إلى قابليتهما للكمال والنقص ، واختلافهما بين الناس باختلاف الزمان والمكان والخلق والمادة

الفهرس

صفحة

- ٢٠١ دفاع عن البلاغة ... : أحمد حسن الزيات ...
- ٢٠٣ في ضيافة الهلال باشا ... : الدكتور زكى مبارك ...
- ٢٠٦ ذكرى السيد جمال الدين : الأستاذ محمود شلبى ...
- ٢٠٧ لا ... بل النعاة والمغويين { الأستاذ عبد الحميد عنتر ..
تقات ! ...
- ٢١٠ طيبة تستقبل فرعون مصر { الكاتب الفرنسى تيوفيل جوتييه
بقلم الأستاذ أحمد بدوى
- ٢١٢ السيدة مكيبة بنت الحسين : الأستاذ سعيد الديوه جى ..
- ٢١٤ الذكرى الباسمة ... { للشاعر الفرنسى « جان ريشبان »
بقلم الأستاذ عبد العزيز الجيزى
- ٢١٥ الصربون المحدثون : شمائلهم { المتشرق « إدورد ولیم لين »
وعاداتهم ... { بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
- ٢١٦ غروب [قصيدة] ... : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
- ٢١٧ في « ليالى اللامع الناه » : الأديب حين محمود البشبيشى
- ٢١٩ هل الأسكندر الأكبر هو { الدكتور إبراهيم الدسوقي ..
ذوالقرنين المذكور في القرآن
- ٢١٩ حول تراث بنى إسرائيل : الأستاذ عبد النعال المصيدى

لختلاف في المكان الواحد، وفي الزمان الواحد، وفي الإنسان الواحد،
 تبعاً لحالات العواطف وانطباعات الحوادث واختلافات الميول
 ضع نموذجاً أمام مائة طالب ليرسموه، ثم انظر بعد ذلك
 فيما عملوا نجد الرسوم كلها تتشابه لأول وهلة؛ فإذا أطلت فيها
 النظر لا نجد رسمين منها يتشابهان، لأن الذوق الخاص بكل راسم
 جعل الصور تختلف في حقيقتها، وإن لم تختلف في جوهرها وطبيعتها
 لا بد للذوق إذن من استمداد العقل والعاطفة كليهما
 في تكوين حكمه: هذا بمقتضى المنطق السليم، وتلك بمقتضى
 الشعور الحاصل. ومرجع كل حكم من أحكام الذوق إلى القاضي
 الأعلى وهو الطبيعة. وللطبيعة، والحمد لله، قانون نافذ على كل
 كائن. وقد كان للناس قبل أن يوجد الفن ذوق معنوي خلقتة
 الطبيعة فيهم كما تخلق الفرائز؛ وكان لهذه الحاسة من ميلها
 ونفورها قاض يحكم على كل شيء فلا يخطئ حكمه. فلما ظهر الفن
 لم يمرض الطبيعة ولم يناقضها، وإنما حسنها وزينها وعمل أحسن
 مما عملت باتباع طريقته واقتباس وسيلتها وملاحظة تطورها
 إن الفنان كلما دنا من الطبيعة كان أنقى وأصدق. أنظر إلى
 أدب الجاهليين من العرب والإغريق تجد أظهر خصائصه الحقيقية
 والسذاجة والوضوح. ذلك لأن البدوي أو الهمجي يمتاز بقوة
 بصره وحدة سمعه؛ وإن حاسته المعنوية التي تتصل بعينه وأذنه
 تمتاز كذلك بوضوح الإدراك وصدق الحساسة. وإذا كان ذوقه
 أضعف من ذوق المتعلمين في التحليل والتجديد والتمييز، فإنه ثابت
 غير مضطرب، خالص غير مشوب. لقد اخترع البدوي المجازات
 البيانية والصور الخطائية قبل أن ينشأ الفن ويوضع البيان. ولقد كان
 إذا ما ضرم النوى أنفاسه، وأرمدى الهوى نفسه، يخاطب النياب
 ويظنهم بسمومونه، ويكلم الأطلال والأموات ويعتقد أنهم يفهمونه.
 إسمعه حين تصيبه مصيبة فيشكو، أو تسفه صنيعه فيشكر،
 أو تمسه إهانة فينتقم، تجده قد شمر بأثر ذلك في نفسه كل الشعور،
 وأداءه بالعبارة الملائمة أصدق الأداء، فلا يوارب ولا يبالغ ولا
 يتكلف. لأن الطبيعة صادقة لا تعرف التمويه، صريحة لا تقبل الرياء.

محمد بن زيات

(البقية على صفحة ٢٢٠)

على أن التنوع والتغير والاختلاف في الذوق الحسي أضعف
 وأقل، لأن مجاله مادي محدود؛ وإدراك المادي قريب، واستيعاب
 المحدود ممكن، وفعل الطبيعة والبيئة في تطوير الفرائز بطيء لا يكاد
 يحس. أما الذوق المعنوي فجعله ما يُعجب وما لا يعجب من
 أعمال النفس والذهن. والمعجب وغير المعجب من هذه الأعمال
 أمور لا تزال تتأثر بموامل الزمن والإقليم والجنس والتربية
 والثقافة والحضارة والطبقة والسن؛ وكلما التبتت هذه الأمور
 التبت الذوق الذي يسيرها ويدرها ويفرق بينها ويحكم عليها.
 فالذوق الحسي مرجعه إلى الصبيحة وللطبيعة طريقة واحدة؛
 والذوق المعنوي مرجعه إلى العادة وللعادة طرق متعددة. وإذن
 لا يمكن الظفر بذوق عام تصدر عنه أحكام الناس على الأعمال
 الفنية، فإن ما يعجب الحضري قد لا يعجب البدوي، وما يطرب
 المصري قد لا يطرب الأوروبي؛ رقص (بيا) خزي عند الغربيين،
 وغناء (جانت) نهيق عند الشرقيين. وفي الغالب ترى الشيء
 الواحد يثير الاستحسان في نفس والاستهجان في أخرى. فكيف
 نجعل الذوق إذن ميزاناً في البلاغة وهو على هذا الاختلاف؟
 إن للذوق مصدرين يستمد منهما الحكم في جميع قضاياها:
 الأول العقل المترن، وهو يحكم في التناسب والقصد والترتيب
 والعلائق المشتركة بين السبب والنتيجة، أو بين الطريقة والغاية.
 والذوق المستمد من هذا المصدر له ما للعقل من الوضوح الذي
 يشرق في كل نفس مهذبة؛ وقواعده كقواعد العقل لا تتغير لأنه
 ثابت مطرد. والفنان الذي أوتي تقوياً الذهن يكون في مأمن من
 الزيف إذا اتبع قواعد الفن لأنها وضعت على هذا الأساس المسكين
 والمصدر الآخر هو العاطفة، وهي الشعور الواقع على النفس
 مباشرة من طريق الحواس. وهنا كان مجال الاختلاف وسبب
 التباين؛ لأن الحقيقة في الفنون غير الحقيقة في العلوم: هي في
 العلوم محصورة مضبوطة، ولكنها في الفنون منتشرة مبسوطة؛
 ومن ذلك كان التدرج من الحسن إلى الأحسن، ومن الفائق
 إلى الممتاز. ولم ينشأ هذه الفروق إلا هذا الذوق العاطفي
 الذي يتولد من الصفات والماديات والحوادث فيجعل الحقيقة الفنية
 تختلف في نفسها من شعب إلى شعب، ومن قرن إلى قرن، حتى